ابن الرومي : حياته من شعره

عباس محمود العقاد

لم يقص الأُستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : ابن الرومي ، قصة هذا الشاعر ولا سرد أخباره على نحو ما تُقص القصص وتسرد الأخبار عادةً ، مجرَّدة من عناصر الحياة ، وانما صوَّر الأُستاذ العقاد شاعره ابن الرومي تصويراً ، والصورة اذا لم تكن ناطقة كانت غير بارعة ، ولكن الأُستاذ العقاد جمع لصورته عناصرها كلها ، فلم يغفله شيء من خطوطها وألوانها ، ولا من ظواهرهـا وبواطنها حتى أصبحت صورته كأنها جسم حي وكأنها روح ناطقة .

شرع الأُستاذ في وصف عصر ابن الرومي ، فوصفه وصفاً أقل ما يقال فيه ان القارئ يحس بأنه من أهل ذلك العصر يشهد آثار الغضب والفتك والدسائس في الدولة ، ويلمس آثار الترف واللهو في المجتمع ، وعلى الجملة فإن العصر الذي عاش فيه ابن الرومي انما هو عصر سلب وغيلة واغتنام فرص وانتهاب لذات وشك وتشعب ، ولكن من محاسن ذلك العصر صلاحه لعبقرية شاعر مثل ابن الرومي لأنه عصر حيّ حافل بأشتات الحياة وألوان الاحساس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يقتصر الأستاذ العقاد على مجرّد وصف العصر الذي عاش فيه ابن الرومي وانما وضح الصلة بين الشاعر وبين عصره فلم يكن ابن الرومي غريباً عما كان يجري في عصره من سفك دم أو من ذوق لذة وغير ذلك وانما كان شعره في بعض المواطن مرآة ثورة أو لذّة .

وعلى هذا النحو من التوضيح والتفصيل سار الأستاذ العقاد في اتمام صورة ابن الرومي ، فما كان يخرج من فصل عصره حتى يدخل في فصل أخباره وما كان يخرج من فصل أخباره حتى يدخل في فصل حياته وكل همه في هذه الفصول ان تكون صورة ابن الرومي كاملة غير مشوّهة ، ناطقةً غير جامدة ، مشرقة غير كامدة واذا أعوزه شيء من الخطوط والألوان استعان بشعر ابن الرومي نفسه فاستخرج منه ما يعينه على استكمال الصورة حتى لا تحتاج الى شيء من الوضوح والإشراق بحيث انك لا تقرأ كتاب : ابن الرومي ، الاّ وجدت فيه وحدة تامة بين شعره وحياته ، وهذا ما حرص عليه الأستاذ العقاد في كتابه كله ، لقد حرص على بيان الطبيعة الفنية في ابن الرومي ، وهي التي تجعل من الشاعر جزءاً من حياته ، فابن الرومي وفنه كانا شيئاً واحداً ، كان ابن الرومي شاعراً ولو لم يكن شاعراً لما استطاع ان يكون مثلاً فيلسوفاً أو وزيراً أو غير ذلك .

ولم يكن اهتمام الأستاذ العقاد بالفصول التي تصور عبقرية ابن الرومي أو فلسفته أو صناعته أقلّ من اهتمامه بالفصول التي تصور حياته المادية ، لقد كانت صورة ابن الرومي كاملة من الناحيتين : من ناحية الحياة المادية ومن ناحية الحياة الفنية ، لم يهمل الأستاذ العقاد شيئاً مما يوضح عبادة ابن الرومي للحياة أو حياته مع الطبيعة أو التقاطه للصور والأشكال او تشخيصه للمعاني او تقديمه الجمال على الخير او نظرته الى الدنيا نظرته الى المعرض المنصوب للتملي والمتعة الى غير ذلك من خصائص عبقرية ابن الرومي وهي خصائص العبقرية اليونانية على وجه عام .

وهكذا كانت براعة الأستاذ العقاد في وصف فلسفة ابن الرومي وصناعته .

وأظن ان كتاب : ابن الرومي انما هو عنوان قدرة الأستاذ العقاد ، ولا أرى بي حاجة الى زيادة في القول .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net